تأثير المعاجم الأندلسية في معاجم أهل المشرق

– توطئة:–

تأثير المعاجم الأندلسية في معاجم أهل المشرق لمحة تاريخية طرأت فيها أحداث، أسهم علماء ما بعد (700هـ) بالأخذ عن المعاجم الأندلسية، ونقدها، إذ أن ذلك يسهم في فهم طبيعة تطور التفكير اللغوي:–

– المعاجم المشرقية التي تأثرت بالمعاجم الأندلسية:–

1– معجم المصباح المنير:– أحمد بن محمد الفيومي(689–770هـ)

هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي المقريء، الفيّومي الحموي نشأ بفيوم مصر، ثم انتقل إلى القاهرة واتصل بأبي حيّان الغرناطي. وتميّز على يديه بالعربيّة( ).

معجم المصباح المنير سفرقيم في مسيرة المعجم العربي، وحلقة مهمة من حلقاته، جديرة بالدرس والأخذ في ميادين اللسانيات العربية والتشريع الإسلامي، لأنّ الأصلَ الذي وضع عليه مطولاً هو كتاب الوجيز للغزالي وشرحه للرافعي( ). إلا أنّ مراجعه الأساسية التي بنى عليها أسس معجمه هي:–

(تهذيب الأزهري، ومجمل اللغة لابن فارس، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والنوادر لأبي زيد الأنصاري، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وديوان الأدب للفارابي، والصحاح للجوهري، وكتب الأفعال لابن القوطية والسرقسطي وابن القطّاع، وأساس البلاغة للزمخشري، والبارع في اللغة لأبي علي القالي وسواها من مراجع الفقه والتفسير) ( ).

فمن أكثر المراجع التي استقى منها مادته (البارع)، فقد بلغت ثمانية وعشرين مادة، وكانت عنايتهُ بالضبط دليل تقيده في العرض، مما ينمّ عن رؤية وظيفية تربوية وتعليمية( ). وهي طريقة القالي الدالة على الدقة في ضبط مدخلات معجمه وتوثيقها مخافة اللحن، سالكاً طريقين:- الضبط بالشكل والميزان الصرفي( ). مثال ذلك: (الذَّوْد) من الإبل قال أبن الأنباري: سمعت أبا العباس يقول ما بين الثلاث الى العشر ذود، وقال في البارع الذود لا يكون إلا إناثاً وذاد الراعي ابله عن الماء يذودها ذوداً وذياداً منعها.

(الذوق): إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصَب المفروش على عَضَل اللسان يقال: ذقتُ الطعامَ أذوقه ذَوْقا وَذَوَقَاناً وذَوَاقا ومَذاقاً إذا عرفته بتلك الواسطة ويتعدى إلي ثان بالهمزة، فيقال: أذقته الطعام وذقت الشيء جرّبته، ومنه يقال: ذاقَ فلان البأسَ إذا عرف بنزوله به( ).

وقد برز في معجمه المبالغة في الاختصار والشروح والتفسيرات فأهمل الكثير من البيانات والدلالات التي تفيد الدرس اللساني الحديث( ). وهذه الطريقة أخذها من ابن سيده في المحكم والذي حذف فيها الأمور الاشتقاقية وغيرها مما رآهُ فائضاً( ) ومن الزبيدي في كتابه (مختصر العين) ( ). مثال ذلك: (نوى) أنويه: قصدته والاسم النِيّة، والتخفيف لغة حكاها الأزهري وكأنه حذفت اللام وعوّض عنها الهاء على هذه اللغة كما قيل في ثُبَة وظُبَة، وفي المحكم النية مثقلة والتخفيف عن اللحياني وحده وهو على الحذف ثم خُصَّت النية في غالب الاستعمال بعزم القَلب على أمرٍ من الأمور( ) ، والنية الأَمْرُ والوجه الذي تَنْوِيه والنَّوَى العَجمَ الواحدة نَواة والجمع نَويَات وأنواء ونُوىً وزان فلوس والنواة اسم لخمسة دراهم هكذا هو عند العرب وناء ينوء نوءاً

مهموز من باب نَهَض ومنه النَّوْءُ للمطَر والجمع أنواء وناوأته مناوأة من باب قاتل إذا عاديته أو فعلت مثل فعله مماثلة ويجوز التسهيل نَاويته( ).

(قِحف) أعلى الدماغ قاله في مختصر العين والجمع أقحاف مثل حمل وأحمال( ).
(هملجَ) البِرْذَوْنُ هَمْلجَةً مَشّيَ مِشيْةً سَهْلة في سرعة، وقال في مختصر العين: الهَمْلجَةُ حسن سير الدابَّة، وكلهم قال في اسم الفاعل هِملاج بكسر الهاء للذكر والأنثى( ).

ويظهر في المادة من مظاهر الإيجاز إذ يذكر المعاني بعضها وراء بعض على الرغم من أنّها مقتبسة من معاجم أخرى فهو يحذف المترادفات المذكورة في التهذيب خاصة، إذن طريقة الفيومي أنّه لم يأت بجميع ما ذكرته مراجعه الأمهات في اغلب الأحيان بل كان يحذف منها.

كذلك نجد في كتابه مادةً غزيرة نقلها عن ابن القطاع، والسرقسطي والبطليوسي، وابن بري، جاء في (كتاب الباء) (بلغ) بَلَغَ الصبيُّ من باب قَعَدَ واحتلم وأدرك والأصل بلغ الحلم، وقال ابن القطاع: بلغ بلاغاً فهو بالغ، والجارية بالغٌ أيضاً بغير هاء( ). وجاء في (كتاب الغين) (غمى) الغُمْيَة وزن مُدْية: هي التي يرى فيها الهلال فتحول بينه وبين السماء ضبابة، وكان على السماء غَميً وزن عَصَا وغمْيٌ وزن فلْس وهو أن يُغَمَّ عليهم الهلال( )، قال السرقسطي: غَمْيَ اليوم والليل بالبناء للمفعول غَميً مقصورة دام غيمهما فلم يُرَ فيهما شمس ولا هلال، قال ومعنى قوله: (فإن أغْمِي عليكم) فإن أغْمِي يومُكم أو ليلتكم فلم تَرَوا الهلال فأتموا شعبان، وغُمِي المريض ثلاثي مبنى للمفعول فهو مَغْميٌّ عليه( ).

ولابد من الإشارة إلى ما تميز به هذا الكتاب، وهو عنايته بالمِّحدثين والفقهاء ذكرهم من خلال الرجوع إلى كتب الفقه والتفسير فضلاً عن ذلك الترتيب الداخلي الذي مثله هذا الكتاب.

قَسَّمَ الفيومي معجمه إلى أبواب، وأطلق على كل باب اسم كتاب وجعلها (29) باباً، كذلك جرَّدَ الكلمات من الزوائد أما الكلمات فانه يذكرها وفق الحرفين الأول والثاني( ).

هذا مما جعل معجمه متميزاً بالسهولة واليسر في تناول مواده المدخلة، وفق الغرض الأساسي من تصنيفه، وهو فهم المعاني الشرعية والأحكام والوقوف على جملة المصطلحات الفقهية التي انتظمها الفقه الشافعي للغزالي( ).

نموذج من المصباح المنير:-

كتاب الزاي (الزاي مع الباء وما يثلثهما)

(الزِبَعْرَي) بكسر الزاي وفتح الباء: السيء الخلق، والذي كثر شعر وجهه وحاجبيه، وقال الفارابي: الزبعرى نبت له رائحة فائحة وسمي الرجل من ذلك( ).

(الزاي مع الجيم وما يثلثهما)(الزُجُّ) بالضم الحديدة التي في أسفل الرمح وجمعه زِجاج مثل رُمح ورِماح وجمع أيضا زِجَجَة مثال عِنَبَة، قال ابن السكيت: ولا يقال أزجَّة، وزَجَجْتُ الرمحَ زَجاً من باب قَتَلَ جعلت له زجاً وزَجَجْتُ الرجل زَجاً طعنته بالزجِّ، والزجاج معروف والضم أشهر من التثليث( ).

(الزاي مع الميم وما يثلثهما) (الزُمُّرِدُ) مثقل الراء مضمومة والدال معجمة: هو الزبرجد، قال ابن قتيبة: والدال المهملة تصحيف( )، وحكى في البارع عن الأصمعي الصواب بذال معجمةٍ (زَمَرَ) زَمْراً من باب ضَرَبَ، ورجلٌ زِمَّار قالوا، ولا يقال زامر ( ).

(الزاي مع النون وما يثلثهما)

(الزِنج) طائفة من السودان تسكن تحت خط الإستواء وجنوبيه وليس وراءهم عمارة، قال بعضهم: وتمْتدّ بلدهم من المغرب إلى قرب الحبشة وبعض بلادهم على نيل مصر الواحد زِنْجِي، مثل روم ورومي وهو بكسر الزاي والفتح لغة( ).

(الزاي مع الهاء وما يثلثهما)

(زهِدَ) في الشيء، وزهد عنه أيضا زُهْداً وزَهَادة بمعنى تركه وأعرض عنه فهو زاهد والجمع زُهَّادٌ، ويقال للمبالغة زِهِّيد بكسر الزي وتثقيل الهاء وزهد يزهد بفتحتين لغة ويتعدى بالتصعيف، فيقال زهَّدته فيه وهو يتزهَّد، كما يقال يتعبد، وقال الخليل: الزهَادَة في الدنيا والزُهْد في الدين شيء زَهِيد مثل قَلِيل وزناً ومعنى( ).

(الزاي مع الواو وما يثلثهما)

(زود) زاد المسافر: طعامه المتخذ لسفره، والجمع أزواد وتزود لسفِره وزودته أعطيته زاداً والِمزود بكسر الميم: وعاء التمر يعمل من أَدَم وجمعه مزاوِد، والمَزِادة شطر الراوية بفتح الميم والقياس كسرها لأنّها آلة يستقي فيها الماء، وجمعها مزايد وربما قيل مزاد بغير هاء والمَزَادة مَفْعَلة من الزاد لأنّه يتزود فيها الماء( ).

2- معجم القاموس المحيط :-

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(729هـ-817هـ)

هو الإمام الشهير مجد الدين، أبو ظاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن يوسف الشيرازي اللغوي، وفيروز آباد التي نسب إليها قرية في بلاد فارس موطن آبائه وأجداده( ).

منهج المؤلف فيه، يقوم على نظام التقفية، أي أنّ الترتيب فيه جاء وفق أواخر الكلمات، بعد التجريد من الزوائد، وعلته أنّ لام الفعل ثابتة في اللفظة، في حين تدخل الزيادات على أولها وفي أحوال شتى( ).

ومعجم القاموس المحيط، مزيَجَ متجانس وأثرَ منتقى، وملتقى سِفْرين هما محكم ابن سيده وعباب الصغاني، كما صَرح بذلك الفيروز آبادي في مقدمته، فضلاً عن ذكر مجموعة من الكتب اللغوية في سياق شرحه لمواده ( ).

وقد قسم معجمه إلى سبعة وعشرين باباً، بعدد الحروف الهجائية، وقد أدمج بابي الواو والياء في باب واحد، وجعل الباب الثامن والعشرين للألف اللينة، ثم قسّم كلّ باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً.

نموذج من معجم القاموس:-

(فصل الباء)

(بأجَهُ) كمنعه صرفه والرجُلُ صاحَ كبَّاجَ واجعَل البَأَجاتِ بأجاً واحداً أي لَوْناً وضَرْباً وقد لا يُهْمَزُ وهُمْ في أمرٍ بَأَجٍ أي: سواء بَابَاجُ كهَامَان جدٌّ لمحمد بن الحسنِ المُحدِث، ابثأججتُ استرخيتُ، وتثاقاتُ (بَجَّ) شقَّ وطعَن بالرُّمح والكلأُ الماشية أسمنها فوسعت خَواصَرُها وهي مُبْتَجةٌ والأبَجُّ الواسعُ مشقّ العين والبَجَّةُ بثرة في العين وصنمٌ ودم القصيدِ، ومنه الحديث: (أراحكمُ الله من الجبهة والسَّجَّةِ والبجَّةِ)( ) لأنّهُمْ كانوا يأكلونها في الجاهليةَّ وبِجَّأنةُ كرُمَّانة، بالأنْدلَ ُسَ منه مسعودُ بنُ عليّ صاحبُ النَسائيّ، والبُجُّ بالضم فَرْخُ الطاَّئِر وسيفُ زُهَيرِ بنِ جنابٍ، وبالفتح اسمٌ والبجباجُ وبهاء السّمين المضطربُ اللحمِ والبجبجة شيءٌ يفعلُ عند مناعاةِ الصبيِ والبجُجُ بضَّمتين الزِقاقُ المشقَّقةُ وباججتهُ فبججتهُ بارزتُه وتبجبجَ لحمُه كثر واسترخى ورجلٌ بجاج كعلابط بادنٌ ورمل بجاجٌ مجتمعٌ ضخمٌ وبُجْبُجُ بنُ خداشِ كقنفذ محدثٌ مغربي والبجاجةُ من الناس الرَّدى منهم( ).

ولعلَّ اعتماده المراجع العربية أساساً في بناء معجمه، فصيحها وشواردها وما تأتي له من قدرة في النسج عالية، وقوة حفظ، وسعت صنوف المعرفة ومعالجة للمدخلات وفق منظور وظيفي والسبب وراء ذلك الانتشار والامتداد الواسع( ).

فضلاً عن ذلك أنه مثل المعجم الحديث من خلال نسج مادته من معجمين (المحكم، العباب) الذي تميز بالشمولية وقدمه بحسن اختصار متبعاً مبدأ الايجاز فتلقي بالترحيب والشهرة.